هَارُونُ أَلَّفنا ائتلاف مودّة ماتتْ لَهَا الأَحْقَادُ والأَضْغَانُ
مَلِكٌ تَصَوَّر فى القلوب مثالُهُ فكأَنَّما لم يخل منه مكانُ
أَلفَتْ منادمةَ الدّماءِ سُيُوفهُ فلقلّما تحتازها الأَجْفَانُ

ومنْ لك بملك يجمع الشعب على مودة، ويقتل الأحقاد والأضغان ، فتحبه القلوب وتجعل له فى كل حنية من حناياها مكاناً ؛ وهو لشجاعته تنادم الدماء سيوفه فقلما تختبئ فى أجفانها ، وإنما هى مشهورة على العدو ، مسلولة على الظالم الباغى . وقد بالغ أبو نواس كما بالغ بشار من قبل فمدح الأمين وجعله خير الناس جميعاً لم يستثن منهم أحداً فقال :

وَإذا المطىُّ بنا بَلَغْنَ « مُحَمَّدًا » فظهورهُنَّ على الرِّجَالِ حَرَامُ
قَرَّبْنَنا مِنْ خير مَنْ وطئ الحصى فلها عَلَيْنا حرمة وَذِمَامُ
مَلِكٌ إذا عَلِقَتْ يداك بِحَبْلِهِ لا يقتضيك البُؤْسُ والإعْدَامُ

ولكننا نلمح فى هذا المديح استجداء وحاجة وطلباً للمال يدعو إلى هذا القول والمبالغة فيه ، حتى يجعل الأمين خير من يمشى على قدم مما خلق الله من إنس ومن جان ؛ وهذه صورة أعجبت القدماء كذلك فجعلوها مثلا يحتذى وقولاً يتردد فى كتب النقد والبلاغة .

ومدح مسلم بن الوليد خليفة المسلمين هارون الرشيد فرأى فيه جامعاً للقلوب على المودة والإخاء ودفن الأحقاد والضغائن ، كما رأى بشار من قبل سواء بسواء فقال فيه :

إذَا اخْتَلَفَتْ أَهْوَاءُ قومٍ جَمَعْتَهُمْ على العَفْوِ أَو حَدّ الحُسَام المهَنَّدِ

فهو يجمع الحلم إلى القوة، والكرم إلى البطش، وهو حين نظر إلى الأمين رأى فيه خليفة يجدّد عهد أبيه فى البأس والشدة :